

أهمية معركة البيضاء

خبر الله خير الله
إعلامي لبناني

الأكد أن المعارك الدائرة في محافظة البيضاء اليمنية أهمية خاصة نظرا إلى أنها تخفف الضغط الذي يمارسه الحوثيون (انصار الله) على مدينة مارب التي يسعون للسيطرة عليها. يمارس "انصار الله" ضغوطا على مارب استكمالاً لمشروع إقامة الدولة التي تدور في فلك إيران في شمال اليمن.

لم تجد القوات التابعة لـ"الشرعية" اليمنية من خيار آخر غير التصدي للهجمة الحوثية على مدينة مارب التي يعني سقوطها أول ما يعنيه ضربة قاصمة لهذه "الشرعية" التي تحتاج إلى اتخاذ مبادرات من كل نوع لإثبات أنه لا تزال هناك فائدة تذكر منها. من بين المبادرات التي يفترض في "الشرعية" اتخاذها الانخراط في معركة البيضاء بدل الوقوف موقف المتفرج على ما يدور ثم ادعاء تحقيق انتصارات في مرحلة معينة.



هناك معركة كبيرة تدور في البيضاء لا علاقة لـ"الشرعية" بها وليس معروفا ما الذي ستؤول إليه هذه المعركة من نتائج في ضوء إرسال الحوثيين تعزيزات جديدة إلى البيضاء خشية خروجهم منها

جاء تحرير قسم من محافظة البيضاء ذات الأهمية الاستراتيجية الكبيرة على يد قوات لا علاقة لها بـ"الشرعية" التي يمثلها الرئيس المؤقت عبدربه منصور هادي الذي يجري حاليا فحوصات طبية في الولايات المتحدة. لو كانت "الشرعية" وميها الإخوان المسلمون الذين يمثلهم حزب الإصلاح جديين في التعاطي مع موضوع البيضاء، لكان هناك لجوء إلى سحب قوات من حضرموت وشبوة وأبين (منطقة شرقا تحديدا) تمهيدا لإرسالها إلى البيضاء مجددا. يمثل ذلك ضرورة قصوى في ضوء مخاوف جدية من استعادة الحوثيين المواقع التي خسروها في محافظة ذات حدود مشتركة بطبيعة أو باخرى مع مناطق مختلفة من اليمن، مع ست محافظات أخرى شمالية وجنوبية هي إب ودمار وشبوة وصنعاء (طريق بني ظبيان) وأبين والصالح.

سترتب على تحرير البيضاء من الحوثيين نتائج مهمة من بينها إثبات وجود قوى محلية مستعدة للوقوف في وجه التمدد الحوثي الذي يشمل محافظة في غاية الأهمية هي إب. ليس سرا أن الحوثيين كانوا يسيطرون على البيضاء في ظل اتفاقات مع قبيلة الحميقان التي ضاقت أخيرا من تصرفاتهم. ليس سرا أيضا أن "انصار الله" يراعون سكان المحافظات ذات الأثرية الشافعية أكثر بكثير من المحافظات اليزيدية حيث يمارسون القمع إلى بعد حدود كما هو الحال في صنعاء وعمران ودمار وصنعاء نفسها.

هناك معركة كبيرة تدور في البيضاء لا علاقة لـ"الشرعية" بها. ليس معروفا ما الذي ستؤول إليه هذه المعركة من نتائج في ضوء إرسال الحوثيين تعزيزات جديدة إلى البيضاء خشية خروجهم منها. في انتظار نتائج معركة البيضاء ستكون "الشرعية" على استعداد دائم لركوب الموجة في حال تحقق انتصار. كما العادة، ستكون مستعدة لإلقاء اللوم على الآخرين في حال لم يتحقق مثل هذا الانتصار. مثل هذا السلوك سبب أكثر من كاف لإعادة تشكيل "الشرعية" من جهة والسعي لكيفية العمل من أجل إفضال المشروع الإيراني في اليمن من جهة أخرى. لا تزال الأمور في اليمن في غاية التعقيد. يزيد من هذا التعقيد غياب أي رؤية استراتيجية لـ"الشرعية". كيف يمكن أن تتوافر هذه الرؤية في غياب "الشرعية" نفسها؟

في كل الأحوال، يبدو اليمن مقبلا على المزيد من التشرذم والضياع والتجاذبات. الأكد أن تعيين السعودي هانس غرونديبرغ مبعوثا أمميا إلى اليمن لا يشير إلى رغبة دولية في إيجاد تسوية في هذا البلد الذي انتقلت إليه العدوى الصومالية. لا يمتلك الدبلوماسي السعودي الذي سبق له أن عمل في اليمن أي وسيلة لوقف الحرب. ليس مستبعدا أن يكون مثله مثل الذين سبقوه، مثل المغربي جمال بنعمر والموريتاني إسماعيل ولد الشيخ أحمد والبريطاني مارتن غريفيث، شاهد زور آخر على المساءة اليمنية. فقد أنهى غريفيث مهمته الشهر الماضي دون تحقيق أي تقدم على مسار السلام في اليمن. كل ما فعله كان إنجاز اتفاق ستوكهولم الذي بقي حبرا على ورق، لكنه ساعد الحوثيين على الاحتفاظ بميناء الحديدة الذي كان يمكن إخراج "انصار الله" منه مثلما طردوا من عدن وميناء المخا. لم يكن لدى "الشرعية" أي دور في ذلك. معروف من أخرج الحوثيين من عاصمة الجنوب اليمني ومن ميناء المخا الذي يمكن منه إغلاق باب المندب:

ثمة حاجة أكثر من أي وقت إلى المزيد من الوضوح في الرؤية في اليمن. ثمة حاجة إلى استخلاص العبر من تجارب الماضي القريب مع ما يعنيه ذلك من استفادة من معركة البيضاء حيث تصدى القبائل المحلية المدعومة من قوى معينة للحوثيين. ما لا يمكن تجاهله في الوقت ذاته أن صمود مارب ما كان ليحقق لولا انضمام قبائل مثل عبدة ومراد إلى المدافعين عن المدينة. بدأت تلوح في الأفق مقاومة للحوثيين في مناطق مختلفة من اليمن، خصوصا بعدما عمل هؤلاء على قمع اليمنيين، بما في ذلك أهل صنعاء وعمران وحجة وصنعاء. لا شك أن الحوثيين لم يستخدموا الضغط الذي مارسوه على زيود اليمن مع سكان المحافظات ذات الأثرية الشافعية. لجأوا إلى وسائل أكثر ذكاء وبهاء في تعاملهم مع الشوافع، لكن مشروعه المختلف لا يمكن إلا أن ينتهي بالفشل. قوتهم تكمن في الوقت الراهن في أن الطرف اليمني الذي يواجههم والمسماة "الشرعية" لا يمارس مهامه كما يجب أن يمارسها. تنقصه الرؤية السياسية والوضوح والإرادة في الوقت ذاته.

لو لم يكن الأمر كذلك، لكان أول ما فعله هذا الطرف هو الانضمام إلى الذين يواجهون الحوثيين في البيضاء بدل انتظار نتائج المعركة لاتخاذ موقف من التطورات التي تشهدها تلك المحافظة...

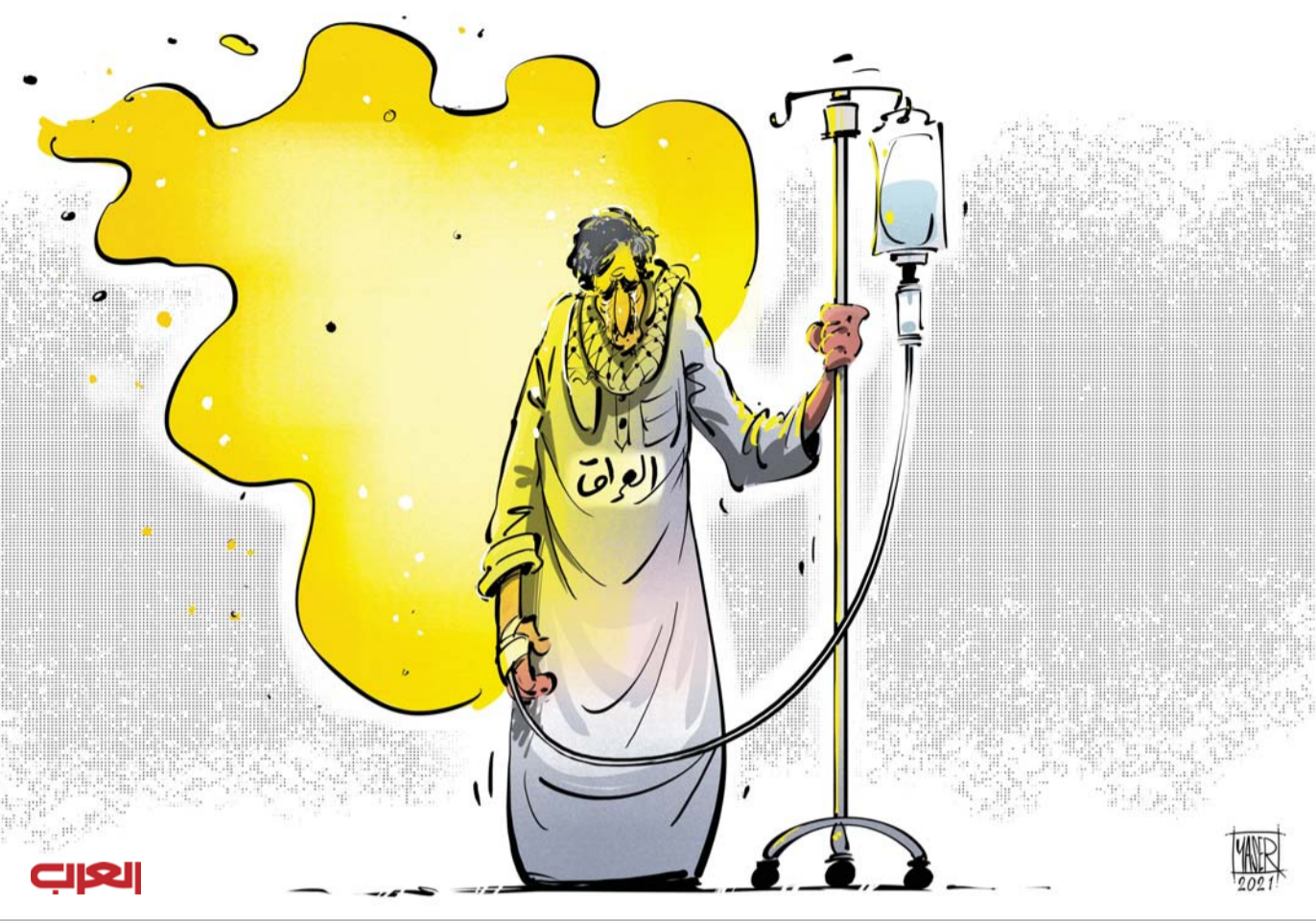
عندما تجد نفسك في حفرة، أول شيء يجب عليك فعله، كما ينصح البريطانيون، هو التوقف عن الحفر، حتى لا تزيد الحفرة عمقا.

البريطانيون توقعوا عن الحفر منذ وقت طويل، والإمبراطورية التي كانت الشمس لا تغيب عنها، تقلصت إلى جزيرة تكاد الشمس لا تشرق عليها. لماذا نتحمل عبء الانتشار والسفر بعيدا إن كانت المكاسب تصلنا طوعا حيث نقيم؟

ولهذا أيضا كانت البريكست. إنها استجابة بريطانية من وهم الكيانات الكبرى.

الولايات المتحدة هي الأخرى تنسحب من بؤر الصراع ليس لأنها مهزومة، بل لأن وجودها هناك لا معنى له اليوم. الأتراك شرعوا في حساب خسائرهم ويحاولون للمتها، ولكن أردوغان الذي استفاد من أوهامه يجد نفسه عالقا في ورطة، لا هو قادر على الانسحاب، لأنه لا يجد ما يقوله للأتراك، الذين سيفضون من حوله. وبعد أن كان يسوق نفسه خليفة للأمة الإسلامية يجد نفسه مهزوما ونليلا. ولا هو قادر على البقاء في بؤر الصراع، لأنه سيفغرقت تركيا، ويكون هو أول الغارقين معها.

بات أردوغان يعلم، وإن جاء ذلك متأخرا، بان الاقتصاد حق، وأن



في المشترك والمختلف بين بوتين وخامني وأردوغان

عدم اليقين بسبب عودة تفشي فيروس كورونا بنسخته دلتا في عدد من الدول، ويحصل توقعات الوكالة الدولية للطاقة قد يصل سعر خام برنت إلى 74 دولارا للبرميل هذا العام.

ولكن، التفاؤل يخفت على خلفية التقرير الذي نشره خبراء شركة "وود ماكنزي"، وفقا للتقرير، سيبدأ الطلب على النفط في الانخفاض بحلول عام 2023. وبحلول منتصف القرن الحادي والعشرين، سينخفض بنسبة 70 في المئة مقارنة بالارقام الموجودة اليوم. ليترشح سعر خام برنت بحلول عام 2030، بين 37 و42 دولارا للبرميل الواحد، بينما سيصل إلى 10 دولارات بحلول عام 2050.

بوتين، مثله في ذلك مثل أردوغان وخامني، لم يات إلى المنطقة بجيشه ومرترقته بحثا عن موقع استراتيجي، أو بحثا عن النفط. بل جاء كما جاء أردوغان وخامني، سعيا لإحياء حلم إمبراطوري. التواجد الروسي والتركي في المنطقة لم يعد مكسبا استراتيجيا. بوتين يعرف هذا وأردوغان يعرف هذا أيضا. ولكن، مثل كل الفاشلين، يصعب عليهم القبول بالخسارة، وهذا يعرضهما لاستنزاف أكبر. إلا أنهما سيضطران في النهاية إلى الاعتراف بالهزيمة وللمة خسائرهما والرحيل.

الحديث اليوم عن الفوز بموطع قدم أمر مخبر للسخرية. من يحتاج لموطع قدم في عالم يتمدد ويتوسع؟ وبينما تتشغل دول مثل روسيا وإيران وتركيا في البحث عن موطع قدم لها في دول فاشلة، تسعى الولايات المتحدة والصين للنفاذ في أقطار السموات للظفر بموطع قدم على المريخ.

الغرب يلطم حقايبه مستعدا للمغادرة منها فصلا من فصول الحروب الكلاسيكية، فالحرب مستقبل لن تجري على الأرض بل في الفضاء السبيرياني.

هناك تغيرات في الموقف الروسي والتركي، يرى فيها البعض استعدادا لدى موسكو وانقراة للتخلي عن طموحاتها الإمبراطورية والاعتفاء بحصة في إعادة إعمار دول المنطقة تعوض لهما بعض الخسائر؛ طهران وحدها تقف عاجزة عن قراءة المتغيرات الجارية من حولها، تظن أن امتلاكها التكنولوجيا النووية يمكنها من امتلاك العالم، والسبب أنها أسيرة فكر أيديولوجي غيبي، وتكتفي بالعمل "لاخرتها

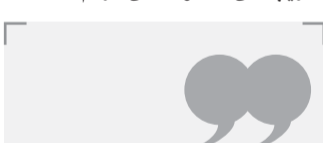
كانما تموت غدا".

العالم كله يريد النفط، وإن خاض يوما حربا من أجله، فهو اليوم يترك الأمر للسوق يحدد سعره، وما على دول العالم إلا أن تدفع السعر المطلوب للحصول عليه؛ هذا ما تفعله الصين، واليابان، ودول أوروبا وتفعله معظم دول العالم. سعر النفط يحدده العرض والطلب وتؤثر عليه الأحداث، سواء من صنع الإنسان أو بفعل الطبيعة.

أبعد من ذلك، ما هو مستقبل النفط في المنظور القريب. خاصة وأن الدول النفطية نفسها تبحث عن بدائل للطاقة وتنويع الاقتصاد.

الطلب على النفط بدأ في التعافي بعد موجات التراجع التي شهدتها الأسواق عام 2020، بسبب انتشار جائحة كورونا، ليصل سعر البرميل إلى 65 دولارا.

وتتسجع التوقعات في المستقبل القريب على التفاؤل، على الرغم من حالة



بوتين مثله في ذلك مثل أردوغان وخامني لم يأت إلى المنطقة بجيشه ومرترقته بحثا عن موقع استراتيجي أو بحثا عن النفط، بل جاء كما جاء أردوغان وخامني سعيا لإحياء حلم إمبراطوري أقل



الإمبراطوريات لا تبني بالأيديولوجيات، وأن الحروب الراجحة لا تشن على أراضي الآخرين بل في الداخل. هي حروب في مجال التصنيع والابتكار. فمماذا صنعت تركيا أردوغان وماذا ابتكرت؟ الصين التي كانت أول المدركين لهذه الحقيقة في مطلع القرن الحادي والعشرين. انكبت على نفسها وأصلحت اقتصادها، لتبرز فجأة ليس كتنين كما توصف، بل كخليفة نحل لا تؤمن إلا بالعمل وتتحول إلى ثاني أكبر اقتصاد في العالم.

تجربة الصين ما هي إلا تكرار لتجربة اليابان التي خرجت مهزومة من الحرب لتتركز على حرب داخلية قوامها الاقتصاد.

لم تحتح الصين واليابان وكوريا الجنوبية إلى موقع قدم استراتيجي لتحقيق كل منها معجزتها الاقتصادية. وعندما عاقب العالم ألمانيا وجردها من السلاح ومن أي موقع نفوذ خارج حدودها، قدم لها خدمة جليلة؛ فسح لها المجال لتتحول إلى أكبر اقتصاد أوروبي، لماذا تحتاج إذن دولة مثل روسيا إلى التمدد والتوسع لتحقيق معجزتها الاقتصادية؟

ورغم أن بوتين هو القائل "من يمتلك تكنولوجيا المعلومات يمتلك العالم". إلا أنه يعيش في ظلال الحروب الكلاسيكية وهو إحياء الماضي. باحثا عن موقع "استراتيجي وجيوستراتيجي" في سوريا، مبتلعا الخدعة التي اشاعها الغرب بأن سوريا "فضاء حيوي على البحر الأبيض المتوسط وفي منطقة الشرق الأوسط عموما حيث تتشابك المصالح العالمية"، وأن روسيا بوجودها هناك "ستستعيد موقعها في السياسة العالمية وترسيخ مكانتها الدولية، على غرار ما كان عليه موقع الاتحاد السوفييتي".

انطلت الخدعة مع الأسف على موسكو، وإثبات خروجها من نظام ما بعد الحرب الياردة بقوة عظمى، راحت تقلب في دفاترها القديمة بحثا عن انظمة دكتاتورية تستمد من خضوعها إحساسا زائفا بالعظمة. كان الأجدد بروسي أن تقبل الهزيمة، وتتكفى على نفسها، وتطور اقتصادها. ولكنها اختارت عكس ذلك، بعد أن ابتليت برعيم (بوتين) ضيع عليها فرصة لا تتكرر لبناء اقتصادها.

ماذا تريد روسيا من تمددها غير الموقع الاستراتيجي؟ النفط هذا ما يقوله المحللون وهذا ما أقتنعت به موسكو نفسها أيضا.

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

ما المشترك بين فلاديمير بوتين وعلي خامنئي ورجب طيب أردوغان؟

بقليل من الجهد والتفكير سنصل جميعا إلى الجواب الصحيح. كل واحد منهم يحلم بإحياء إمبراطورية أقل نجمها.

تحدثت روسيا مطولا عن التصدي لـ"داعش" لتبرير تدخلها في سوريا عام 2015، إلا أن هذا لم يخف رغبتها في الاحتفاظ بقواعد عسكرية شرقية في البحر المتوسط، والحصول على الحصنة الأكبر من أعمال التنقيب عن الغاز قبالة الساحل السوري إضافة إلى استثمارات أخرى من بينها الفوسفات.

السنوات العشر الماضية من عمر الأزمة بدأت العالم. ما كان بالأمس ضرورة استراتيجية سواء على المستوى الأمني أو الاقتصادي، أصبح اليوم عبئا يجب التخلص منه.

"النجاحات" التي حققتها روسيا في سوريا، كشفت الآن عن إخفاقات. فلماذا الإصرار على تصنيع عربات جرها الخيل بعد اكتشاف المحرك الانفجاري؟ التاريخ لا يرحم الذين يفشلون في قراءة التغيرات، سواء على المستوى الفردي أو على مستوى الحكومات والدول.

عندما تجد نفسك في حفرة، أول شيء يجب عليك فعله، كما ينصح البريطانيون، هو التوقف عن الحفر، حتى لا تزيد الحفرة عمقا.

البريطانيون توقعوا عن الحفر منذ وقت طويل، والإمبراطورية التي كانت الشمس لا تغيب عنها، تقلصت إلى جزيرة تكاد الشمس لا تشرق عليها. لماذا نتحمل عبء الانتشار والسفر بعيدا إن كانت المكاسب تصلنا طوعا حيث نقيم؟

ولهذا أيضا كانت البريكست. إنها استجابة بريطانية من وهم الكيانات الكبرى.

الولايات المتحدة هي الأخرى تنسحب من بؤر الصراع ليس لأنها مهزومة، بل لأن وجودها هناك لا معنى له اليوم. الأتراك شرعوا في حساب خسائرهم ويحاولون للمتها، ولكن أردوغان الذي استفاد من أوهامه يجد نفسه عالقا في ورطة، لا هو قادر على الانسحاب، لأنه لا يجد ما يقوله للأتراك، الذين سيفضون من حوله. وبعد أن كان يسوق نفسه خليفة للأمة الإسلامية يجد نفسه مهزوما ونليلا. ولا هو قادر على البقاء في بؤر الصراع، لأنه سيفغرقت تركيا، ويكون هو أول الغارقين معها.

بات أردوغان يعلم، وإن جاء ذلك متأخرا، بان الاقتصاد حق، وأن